لماذا شُرع الجهاد؟

قال الله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمـه اللـه¹: (هـذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسـل يـدعون إليهـا، وهـي: عبـادته المتضـمنة لمعرفتـه ومحبتـه والإنابة إليه والإقبال عليه والإعراض عما سواه).

وقال في فتح المجيـد²: (ومعنـى الآيـة أن اللـه خلـق الخلق ليعبدوه وحده لا شـريك لـه)، (والعبـادة كمـا عرفهـا شيخ الإسلام ابن تيمية هي: "طاعة الله بامتثال ما أمـر بـه على ألسنة الرسل)³.

وقال تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}.

قال العماد بن كثير في هذه الآية ُ: (كلهـم أي الرسـل يدعو إلى عبادة الله وينهى عن عبادة ما سواه).

فلم يزل سبحانه يرسل إلى الناس الرسل بذلك منــذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح الذين أرسل إليهـم، وكان أول رسول بعثه الله تعالى إلـى أهـل الأرض، إلـى أن ختمهم بمحمدصلى الله عليـه وسـلم الـذي طبقـت دعـوته الإنس والجن في المشارق والمغارب.

وكلهم كما قال تعالى: {وما أرسلنا من قبلـك مـن رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون}.

فدلت هذه الآيات وغيرها كثير على أن الغاية التي خلق الخلق من أجلها والحكمة التي أرسل الرسل لها هي: عبادة الله وحده والنهي عن عبادة غيره، وأن هذا دين جميع الأنبياء والمرسلين إلا أن الأمر بالعبادة أمر شرعي وليس أمراً كونياً، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته وأمرهم بذلك على ألسنة رسله، ثم الخلق قد يعبدونه وقد لا يعبدونه.

يسير الكريم الرحمن: ص 755

² ص 24 ³ انظر فتح المجيد: ص 23 ⁴ فتح الحدد ع

قال تعالى: {ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهـم جميعا أفـأنت تكـره النـاس حـتى يكونـوا مـؤمنين}، وقـال تعالى: {هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن}.

فرغم أن الله تعالى أرسل رسله بالبينات والحجج الواضحات، وقع الاختلاف القدري وانقسم الناس إلى مؤمن وكافر، وذلك مصدق لما ورد في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري عن جابر، وفيه: (ومحمد فرق بين الناس)، وهذا باق إلى يوم القيامة.

وبانقسام الخلق إلى مؤمن وكافر انعقدت العداوة بينهما، قال تعالى: {ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون}، وقال تعالى: {هذان خصمان اختصموا في ربهم}، وقال تعالى: {إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبينا}، وقال تعالى: {وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين}.

وهذا متناول يعمومه لكـل أعـداء الـدين وخاصـة مـن الكفرة الأصليين والمرتدين باختلاف أصنافهم وطوائفهم.

وبانعقاد هذه العدواة الدينية بين الفريقين في الله وعبادته ودينه وقع القتال بينهما ولابد، قال تعالى: {ولـو شاء الله ما اقتتـل الـذين مـن بعـدهم مـن بعـد مـا جـاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهـم مـن كفـر ولـو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد}.

قال سيد قطب رحمه الله أن (وحين يصل الاختلاف الى هذا المدى فيكون اختلاف كفر وإيمان، يتعين القتال، يتعين لدفع الناس بعضهم ببعض، دفع الكفر بالإيمان والضلال بالهدى، والشر بالخير، فالأرض لا تصلح بالكفر والضلال والشر، ولا يكفي أن يقول قوم إنهم أتباع أنبياء إذا وصل الاختلاف بينهم إلى حد الكفر والإيمان وهذه هي الحالة التي كانت تواجهها الجماعة المسلمة في المدينة بوم نزل هذا النص... كان المشركون في مكة يزعمون أنهم على ملة إبراهيم، وكان اليهود في المدينة يزعمون أنهم على دين موسى، كما كان النصارى يزعمون أنهم على دين موسى، ولكن كل فرقة من هؤلاء كانت قد بعدت ألمدى الذي ينطبق عليه وصف الكفر، وكان المسلمون عند نزول هذا النص يقاتلون المشركين من العرب، كما عند نزول هذا النص يقاتلون المشركين من العرب، كما عند نزول هذا النص يقاتلون المشركين من العرب، كما عند نزول هذا النص يقاتلون المشركين من العرب، كما

⁵ في الظلال: 1 / 284

كانوا على وشك أن يوجهوا إلى قتال الكفار من أهل الكتاب، ومن ثم جاء هذا النص ليقرر أن الاقتتال بين المختلفين على العقيدة إلى هذا الحد هو من مشيئة الله وبإذنه {ولو شاء الله ما اقتتلوا}، ولكنه شاء، شاء ليدفع الكفر بالإيمان، وليقر في الأرض حقيقة العقيدة الصحيحة الواحدة التي جاء بها الرسل جميعاً فانحرف عنها المنحرفون.

وقد علم الله أن الضلال لا يقف سلبياً جامداً إنما هـو ذو طبيعة شريرة، فلابد أن يعتدي، ولابـد أن يحـاول إضـلال المهتدين، ولابد أن يحـاول إضـلال المهتدين، ولابد أن يريـد العـوج ويحـارب الاسـتقامة، فلابـد من قتاله لتستقيم الأمور، {ولكـن اللـه يفعـل مـا يريـد}... قدر أن يقع القتـال بيـن الهـدى والضـلال، وقـدر أن يجاهـد أصـحاب الإيمـان لإقـرار حقيقتـه الواحـدة الواضـحة المستقيمة، وأنه لا عبرة بالانتساب إلى الرسل من أتباعهم إنما العبرة بحقيقة ما يعملـون، وأنـه لا يعصمهم من مجاهدة المؤمنين لهم أن يكونوا ورثـة عقيـدة وهم عنها منحرفون.

وهذه الحقيقة التي قررها الله للجماعة المسلمة في المدينة، حقيقة مطلقة لا تتقيد بزمان إنما هي طريقة القرآن في اتخاذ الحادثة المفردة المقيدة مناسبة لتقرير الحقيقة المطردة المطلقة). انتهى كلام الأستاذ سيد قطب.

فسبب العداوة إذاً وسبب المعركة والصراع والاقتتال هـو الاختلاف العقائدي، الاختلاف بيـن الانتسـاب المزعـوم لدين الله، وبين الانتسـاب الحقيقـي لهـذا الـدين، الاختلاف بين صرف العبودية لغيـر اللـه مـن حجـر أو شـجر أو بشـر، وبين صرفها لله وحده لا شريك له.

وهذا السبب هو الـذي أفصح عنه القـرآن وبينه أتـم بيـان، ونحـن نصـدق ربنـا ونتهـم عقولنـا ومـن عكـس فقـد انتكـس ورام الضـلال، فـالله أحكـم الحـاكمين وأصـدق القائلين جعل سـبب المعركـة العـدواة فـي الـدين رغـم أن الناس ومنذ القديم يختلفون في مصالحهم المعاشـية إلا أن هذا قط لم يكن سـبب العـداوة والبغضـاء كمـا أخـبر عنهـم الذي خلقهم وأنزل هذا الكتاب لكل زمان ولكل مكان.

بل سبب العـداوة الـذي ذكـره المـولى سـبحانه ولـم يذكر غيره إنمـا هـو الـدين وعبوديـة رب العـالمين مـا بقـى الفريقان وما تعاقب الملوان، قال تعالى مبيناً منطلق أهـل الباطل في صراعهم مع أهل الحق وموضحاً شعارهم الذي يرفعون وحوله يجتمعون {قالوا حرقوه وانصروا الهتكـم}، انصـروا دينگـم، انصـروا عبـادتكم، انصـروا عقيـدتكم ... وهكذا، فهذا منطلق أعداء هـذا الـدين وشـعارهم ورايتهـم، فالمعركة بين المعبود بحق والمعبودات بالباطل.

فالمؤمنون ينصرون عبودية الإله الحق، والكافرون ينصرون عبودية الآلهة الباطلة على اختلاف أصنافها، قال تعالى: {وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا}، وقال تعالى: {إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا}، وقال تعالى: {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم}.

قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله⁶: (إنها العقدة الدائمة التي نرى مصداقها في كل زمان ومكان، إنها هي العقيدة، هذه حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصاري في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة، إنها هي معركة العقيدة هي المشبوبة بين المعسكر الإسلامي وهذين المعسكرين اللذين قد يتخاصمان فيما بينهما، وقد تتخاصم شيع الملة الواحدة فيما بينها ولكنها تلتقي دائماً في المعركة ضد الإسلام والمسلمين، إنها معركة العقيدة في صميمها وحقيقتها.

ولكن المعسكرين العريقين في العداوة للإسلام والمسلمين يلونانها بالوان شتى ويرفعان عليها أعلاماً شتى في خبث ومكر وتورية... إنما أعلونها باسم الأرض والاقتصاد والسياسة والمراكز العسكرية... وما إليها وألقوا في روع المخدوعين الغافلين منا أن حكاية العقيدة قد صارت حكاية قديمة لا معنى لها، ولا يجوز رفع رايتها وخوض المعركة باسمها... إنها معركة العقيدة، إنها ليست معركة الأرض ولا الغلة ولا المراكز العسكرية ولا هذه الرايات المزيفة كلها.

إنهم يزيفون علينا لغرض في نفوسهم دفين ليخدعونا عن حقيقة المعركة وطبيعتها، فإذا نحن خدعنا بخديعتهم لنا فلا نلومن إلا أنفسنا ونحن نبعد عن توجيه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأمته، وهو سبحانه أصدق القائلين {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصاري حتى تتبع ملتهم}، فالكافر

6 في الظلال: 1 / 108

يعادي المؤمن لإيمانه، وكلما ازداد العبد تمسكاً بإيمانه ودينه كلما ازداد نصيبه من عداء الكافرين).

قال تعالى: {لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة}.

قال الشيخ عبـد الرحمـن السـعدي رحمـه اللـه⁷: (أي لأجـل ِعـدإوتهم للإيمـانِ وأهلـه، فالوصـف الـذي جعلهـم يعادونكم لاجله ويبغضونكم هـو الإيمـان، فـذبوا عـن دينكـم وانصروه واتخذوا مـن عـاداه عـدوا ومـن نصـره لكـم وليـا واجعلوا الحكم يدور معـه وجـوداً وعـدما، لا تجعلـوا الولايـة والعدادة والمعتب يعادونكم لاجله ويبغضونكم هـو الإيمـان، فـذبوا عـِن دينكِ وَالعداوَة طبيعة تميلون بها حيث مال الهوي).

وقال تعالى: {وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد}.

قال ابن كثير رحمه الله⁸: (أي ومـا كـان لهـم عنـدهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز).

ويقول الأستاذ سيد قط ب رحمـه اللـه⁹: (ومـا نقمـوا منهم إلا أن يؤمنوا بـالله العزيـز الحميـد، حقيقـة ينبغـي أن يتامِّلُهَا المؤمنُونِ الداعون إلى الله في كل ارض وفـي كـل ُجيــلْ، إِن اللَّمِعَرِكَــة بيــنَ الْمـَـؤمنينِ وَخصَــومَهُم هَــيَّ فــيَ صميمها معركة عقيدة وليستِ شيئاً آخرِ على الإطلاق، وإن خِصومَهم لا يَنقمون منهَمِ إلا الإيمان، ولاَ يسخَطؤن منَّهم ۖ إلَّا العقيدةْ، إنها ليست معركة سيأسية ولا معركة اقتصاديّة ولا معركة عنصرية، ولـو كانت شيئاً مـن هـذا لسـهل وقفها وِسهَل جل إشكالها، وَلكنها في صميمها معركة عقْيدة، إمْـا كَفر وإما إيمَان، إمّا جَاهليـة وإمـا إسـّلام، وَلقـد كـان كَبـار المشرّكين يعرضون على رسوّل الله صلى الله عليه وسلماً المال والجِّكم والمَّتاع في مِقِابِلُ شِئ واحد ان يدع معرِّكــةُ العقيدة وإن يُدهَن في هذا الامـر،ولـو آجـابهم حاشـاه إلـي شِئِ مَمَا ٱرَادُوا مَا بِقِيْتِ بِينَهِم وبِيَنَّهِ مُعْرَكَةٌ عُلَى الْإِطْلَاقِ، إنها قضية عقيدة ومعركة عقيدة.

وهذا ما يجب أن يستيقنه المؤمنون حيثما واجهوا عدواً لهم، فإنه لا يعاديهم لشئ إلا لهذه العقيدة { إلا أن يؤمنوا بالله العزيـز الحميـد} ويخلصـوا لـه وحـده الطاعـة ٱلْخَضُوعَ، وقد يحاُّولَ أعـداء المـّؤمنين أن يرفَعـوا للمعركـة

[ً] في تفسيره: ص 290 8 في تفسير القرآن العظيم: 4 / 521 9 في معالمه: ص 201

لماذا شُرع الجهاد؟

راية غير راية العقيدة، راية اقتصادية أو سياسية أو عنصرية كي يموهوا على المؤمنين حقيقة المعركة، ويطفئوا في أرواحهم شعلة العقيدة، فمن واجب المؤمنين ألا يخدعوا ومن واجبهم أن يدركوا أن هذا تمويه لغرض مبيت، وأن الذي يغير راية المعركة إنما يريد أن يخدعهم عن سلاح النصر الحقيقي فيها).

قال الشيخ السعدي¹⁰: (أخـبر تعـالى أنهـم لـن يزالـوا يقاتلون المؤمنين وليس غرضهم في أموالهم وقتلهم، وإنما غرضهم إن يرجعوا عن دينهـم ويكونـوا كفـاراً بعـد إيمـانهم حتى يكونوا من أصحاب السعير، فهم بـاذلون قـدرتهم فـي ذلك، ساعون بما أمكنهم... وهذا الوصف عام لكل الكفـار، لا يزالون يقاتلون غيرهم حتى يردوهم عن دينهم).

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله¹¹: (وهذا التقريـر الصادق من العليم الخبير يكشف عن الإصرار الخبيث علـى الشر وعلـى فتنـة المسـلمين عـن دينهـم بوصـفها الهـدف الثابت المستقر لأعدائهم، وهو الهدف الذي لا يتغير لأعـداء الجماعة المسلمة في كـل أرض وفـي كـل جيـل... وتتنـوع وسائل قتال هؤلاء الأعداء للمسلمين وأدواته، ولكن الهدف يظل ثابتـاً، أن يـردوا المسـلمين الصـادقين عـن دينهـم إن استطاعوا، وكلما انكسـر فـي يـدهم سـلاح انتضـوا سـلاحاً غيره، وكلما كلت في أيديهم أداة شحذوا أداة غيرها.

والخبر الصادق من العليم الخبير قائم ليحذر الجماعة المسلمة من الاستسلام، وينبهها إلى الخطـر... {ومـن برتـدد منكـم عـن دينـه فيمـت وهـو كـافر فأولئـك حبطـت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصـحاب النـار هـم فيهـا خالدون}).

وهذا المنطلق العقائدي هو منطلق جميع الكفرة في حربهم الإسلام وأهله كما قررنا قبل، سواء كانوا كفاراً أصليين أو كانوا كفاراً مرتدين، يل ربما كان هذا المنطلق في حرب الإسلام وأهله أقوى وأشد في حيق أعداء الله المرتدين، قال تعالى في حديثه عن الكفار كفر نفاق وردة {ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواءً}.

 $^{\scriptscriptstyle 10}$ في تفسيره: ص $^{\scriptscriptstyle 10}$ $^{\scriptscriptstyle 11}$ في الظلال: 1 / 227

قال سيد قطب رحمه الله²¹: (أنهم قد كفروا على الرغم من أنهمٍ تكِلموا بما تكلم به المسلمون، ونطقوا الرغم من الهم لحيموا بلك سيم مساهرة أعداء المسلمين، بالشهادة نطقاً يكذبه العمل في مظاهرة أعداء المسلمين، وهـم لا يريـدون أن يقفـوا عِنِـد هـذا الحَـد، فالـذي يكفـِـر ۗ پُسْتَرِيحَ لُوجُودُ الْإِيمَانِ فِي الأَرِضِ ووجِـوِد المـؤمنِيْنِ، ولابَـد لَه منَّ عَملُ وَسعْتِ، وَلابدَّ له مَن جَهَدَ وكَيد لـردَ الْمُسَـلَمين إلى الكفر ليكونوا كلهم سواء).

ولعل هذا من الحكم التي كان مـن أجلهـا كفـر الـردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي.

وإذا كان الكفار على اختلاف أصنافهم وأجناسهم يعادون المؤمنين ويقاتلونهم من أجلُّ دينهم وبهدف صـرف ٱلْعَبَادَة لَغَيَـرَ ٱللَّـهُ أَو إِشَـرَاكَ غَيـرَه مَعْـهُ سَـبحانه، فــَان المؤمنين يعادون الكفار علـي اختلاف أصـنافهم وأجناسهم من اجل دينهم وبهـدف صـرف العبـادة بجميـع صـورها للـه وحّده لا شريك له.

وهذا هو الهدف الأساسي الذي من أجله شرع الجهاد وسائر الأهداف تنبني عليه ولا توجد بدونه.

قال في "أهمية الجهاد"¹³ تحت عنوان "أهداف الجهاد وغايته": (الهدف الرئيسي هو تعبيد الناس لله وحده، وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية للرب العباد، وَإِزالَـة الطـواغيت كِلها مـن الأرض جميعاً، وإخلاء العالم من الفساد، وذلك لأن خضوع البشر لبشر مثلهم وتقديم أنواع العبادة لهم من الدعاء والنذر والذبح والتعظيم والتشريع والتحاكم هو أساس فساد الأجيال المتعاقبة من لدن نوح عليه السلام إلى يومنا هذا).

وقــال فــي "القتــال فــي الإســلام"¹⁴: (إن الغــرض الأساسِي من القتال لدى المسلمين هــو إقامــة منهـِـج اللــه في الأِرضَ بَـدعوة النـاس إلـى عبـادة اللـه والتحـاكم إلـى شرعه).

¹² في الظلال: 2 / 731

158 ص: 158 14 ص: 94

ويقول سيد قطب رحمه الله 15: (جاهد الإسلام ليقيم في الأرض نظامه الخاص ويقرره ويحميه، وهو وحده النظام الذي يحقق حرية الإنسان تجاه أخيه الإنسان، حينما يقرر أن هناك عبودية واحدة لله الكبير المتعال ويلغي من الأرض عبودية البشر للبشر في جميع أشكالها وصورها)... إلى أن قال: (وما يزال هذا الجهاد لإقامة هذا النظام الرفيع مفروضاً على المسلمين {حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله }، فلا تكون هناك الوهية للعبيد في الأرض ولا دينونة لغير الله).

وهناك جملة من النصوص القرآنية والنبوية تدل على هذا الأصل وتقرره غاية في الوضوح والجلاء، قال تعالى: { أَذَنَ لَلَّذِينَ بِقَاتَلُونَ بِأَنَهُمَ ظَلَمُ وَا وَإِنَ اللّهُ عَلَى نَصَرَهُمَ لَقَدِيرِ الذّينَ أَخْرِجُوا مِن ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز }.

قال ابن كثير: ({إلا أن يقولوا ربنا الله} أي ما كان لهم إلى قومهم إساءة ولا كان لهم ذنب إلا أنهم وحدوا الله وعبدوه لا شريك له، أما عند المشركين فإنه أكبر الـذنوب كما قال تعالى: {يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنـوا بـالله ربكم}، وقال تعالى في قصة أصحاب الأخدود {ومـا نقمـوا منهم إلا أن يؤمنوا بـالله العزيـز الحميـد}، ولهـذا لمـا كـان المسلمون يرتجزون في بناء الخندق ويقولون:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا إذا أرادوا فتنة أبينا

فيوافقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول معهم آخر كل قافية، فإذا قالوا: إذا أرادوا فتنة أبينا يقول: أبينا، يمد بها صوته).

وقال الشيخ السعدي 16 : $\{\{\dot{0}\}\}$ يقولوا ربنا الله $\{\dot{0}\}\}$ أي: إلا أنهم وحدوا الله وعبدوه مخلصين له الدين)... إلى قوله: (وهذا يدل على حكمة الجهاد، فإن المقصود منه إقامة دين الله أو ذب الكفار المؤذين للمؤمنين، البادئين لهم بالاعتداء

 15 في الظلال: ج 3/295 15 ص 489

منبر التوحيد والجه<u>اد</u>

عن ظلمهم واعتدائهم، والتمكن من عبادة الله وإقامة الشرائع الظاهرة).

وفي قـوله: {ولـولا دفع اللـه النـاس بعضـهم ببعـض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم اللــهً كثيرًا} دلالة على أن هدف الجهاد هو إخلاص العبادة للــه إذ هي العبادة المقبولة وحدها، فتامل!.

وقـال تعـالى: {فـإذا انسـلخ الأشـهر الحـرم فـاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصـروهم واقعـدوا لهم كل مرصدٍ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فخلـوا سبيلهم إن الله غفور رحيم}.

فهذه الآية نص ظـاهر فـي أن القتـال مـع المشـركين ممتد إلى أن يتوبوا من شركهم بتحقيق التوحيد والالتزام به وإقامة شعائر الإسلام.

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره 17 عن ابن جرير الطبري بإسناده قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده وعبادته لا يشرك به شيئاً فارقها والله عنه راض).

قال أنس: (هو دين الله الذي حاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبـل هـرج الأحـاديث واختلاف الأهـواء، وتصـديق ذلك في كتاب الله في آخر ما نزل، قال تعالى: {فإن تـابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سـبيلهم}، قـال: تـوبتهم خلع الأوثان وعبادة ربهم وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة).

قال ابن العربي¹⁸: (قوله: {فإن تابوا وأقـاموا الصـلاة وآتوا الزكاة فخلوا}... وهذا بين بقول النبي صلى الله عليه وسلم: [أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولـوا لا إلـه إلا اللـه ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصـموا منـي دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم علـى اللـه}، فـانتظم القرآن والسنة واطردا).

وقال الجصاص¹⁹: ({فاقتلوا المشركين} فمتى زالت عنهم سمة الشرك فقد وجب زوال القتل).

> 17 ج 2/371 18 أحكام القرآن: ج 2/902 19 في أحكامه ج 4/273

وقال تعالى: {قاتلوا الذبن لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وَلا يُحرمونَ مـُا حـرُم اللّـهُ ورَسَـولُهُ وَلا يـدينُونَ ديّـنَٰ الحق من الذين أوتوا الكتـاب حـتى يعطـوا الجزيـة عـن يـدٍ وهم صاغرون}.

قال ابن العربي²⁰: (وسمعت الشيخ الإمام أبا علي الوفاء بـن عقيـل الحنبلـي إمـامهم ببغـداد يقـول: إن قـوله تعالى: {قاتلوا} أمر بالقُتل، وقوله تعالى: {الذين لا يؤمنون بالله} سبب للقتال، وقوله تعالى: {ولا باليوم الإخر} إلزام للإيمان بالبعث الثابت بالدليل، وقوله تعالى: ﴿ وَلاَ يَحْرُمُ وَٰنَ مَـا حَـرِمِ اللَّـهِ وَرِسَـولَهُ } بيـَانَ أَن فـروَعَ الشريعة كأصولها، وأحكامها كعِقائدها، وقـوله تعـالي: {ولا يدينوَن دين الحَقّ } آمر بخلّع الأديان كلهاً إلاّ دين الإسلام).ُ

وتحقيقا، فهذه الآية الشريفة تضمنت المناطات الـتي اينما وجدت فقد وجب القتال، سواء من اهل الكتاب إم من غيرهم، مع العلم بان هذه المناطات بعضها مستلزم لبعض.

قال ابن العربي في هذه الآية 21: (أمـر بمقاتلـة جميـع الكِفار، فإن كُلِهم قُدَّ اطبَّق على هـذا الوصِّف مـن الكفِّرَ بالله وَاليوْمَ الأَخْرِٰ).

وقال تعالى: {وقـاتلوهم حـتى لا تكـون فتنـة ويكـون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين}.

قال ابن كثير²²: (أمر تعالى بقتال الكفار حتى لا تكون فتنـة، أي شـرك، قـاله ابـن عبـاس وأبـو العاليـة ومجاهـد والحسن وقتادة والربيع ومقاتل بن حيان والسدي وزيد بـن أسلم، {ويكون الدين لله} أي يكون ديـن اللـه هـو الظـاهر على ٰسأئر ۤ الأديان).ّ

وقال ابن الجوزي²³: ({ويكون الـدين للـه} قـال ابـن عباس: أي يخلص له التوحيد).

20 ج 1/110

² ج 2/917 2² ج 1/329 3² زاد المسير، ج 1/200

وقال القرطبي²٤: (وهو أمر مطلق لا بشـرط أن يبـدأ الكفار، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿{وَيَكُونَ الدِّينَ لِلَّهَ}، وقــال صلى اللَّهِ عَلَيْهِ وسلمَ: [أمرت أنَ أقاتَل الناسَ حتى يقولوا لا إله إلا اللهِ]، فَدِلتِ الآية وألحديث على أن سِّبب القتَّالِّ هِوْ الكُفرِ، لأَنِهِ قال {حتى لا تكِون فتنـة } أي كفـر، فجعـلُ الغَّاية عدِّم الكفر، وهذا ظاهر).

وقال ابن العربي²⁵: ({وقاتلوهم حتى لا تكـون فتنـة} يعني كفِر، بدليل قوله تعـالي: {والفتنـة أشـد مـن القتـل} يُعِنيُّ الكفِّرِ... قَال: َ فجعل الْغايبَة عَـدم الكِفـر، ... ٓ ثـم قِـالَ {وِقَاتِلُوهِمِ حَتِي لِا تَكُونَ فَتِنَةً } إِبَاحَةً لَقْتَالُهِم وَقَتِلُهِمْ إِلَى غاية هي الإيمان).

وقال الشوكاني26: ({وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة(فيه أمر بمقاتلة المشركين إلـُى غايـة هـي الا تكـون فتنـة وأن يكون الدين كله وهـو الـدخول فـي الإسـلام والخـروج عـن سائر الأديان المخالِفة له، فمن دخل في الإسلام وأقلَّع عن ا الشرك لم يحل قتاله).

وفي السيرة النبوية لابن هشام 22: ({وقـاتِلوهم حـتى لا تكونَ فَتَّنة} أيَّ: لا يَفْتُن مؤمَّن عَنْ دينهُ، ۖ { وَيَكَـوُن ٰالــدينَ لَله} أي: حتى يعبد الله لا يعبد معه غيره).

وقال تعالى: {وقـاتلوهم حـتى لا تكـون فتنـة ويكـون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير}.

قال ابن كثير²⁸: ({وقاتلوهم حتى لا تكون فتنـة} يعني: لا يكون شرك، وكذا قال أبو العالية ومجاهد والحسن يعلى، ويكون سرف، وحد، عن أبو أبو أبو أبر حيان وزيد بن وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم، وقال محمد بن إسحاق بلغني عن الزهري عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا {حتى لا تكون فتنة} حتى لا يفتن مسلم عن دينه، وقوله: {ويكون الدين كله لله} قال الضِّحاكِ عن ابن عباسَ في هذه الآيَّة، قال يَخلُّ إلى التوجِيد لله، وقال الحسن وقتادة وابن جريج {ويَكُـون الّـدينُ كلّـه للهِ} أن يقال " لا إلهِ إلا اللّـه "، وقال محمـدين إسحاق ويكون التوحيد خالصا لله ليس فيه شيرك ويخلع ميا دونية

^{2/236} ج 24 25 ج 1/109

²⁶ في فَتح القدير، ج 1/191 27 ج 2/792 27 ج 2/341

من الأنداد، وقال عبد الرحمن بن زيـد بـن أسـلم، {ويكـون الدين كله لله} لا يكون مع دينكم گفر).

وقال ابن جريـر الطـبري فـي تفسـيره لهـذه الآيـة²⁹: (فقـاتلوهم حـتى لا يكـون شـرك ولا يعبـد إلا اللـه وحـده لا شـريك لـه، فيرتفـع البلاء عـن عبـاد اللـه مـن الأرض وهـو الفتنـة، {ويكـون الـدين كلـه للـه} وحـتى تكـون الطاعـة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره).

وقال سيد قطب³⁰: ({وقـاتلوهم حـتى لا تكـون فتنـة ويكون الدين كله لله}، وهذه حدود الجهاد فـي سـبيل اللـه فـي كـل زمـان لا فـي ذلـك الزمـان... ولـن تنـال البشـرية الكرامة التي وهبها لها الله، ولن يتحرر الإنسان في الأرض إلا حين يكون الدين كله لله فلا تكون هناك دينونة لسـلطان سواه، ولهذه الغاية الكبرى تقاتل العصبة المؤمنة).

وأما نصوص السنة النبوية التي تقرر هذا الأصل كـون الجهاد لتحقيق عبودية الله في أرضه، فمنها:

قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الشيخان عن إبن عمر: (أمرتِ أن أقاتِلِ الناس حتى يشهدوا أن لا إلــه إلا الله وأن مُحمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الأسلام وحسابهم على آلله وحّده).

قال الحافظ13: (جعل غاية المقاتلة وجود ما ذكر).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريـرة مرفوعـاً: (أمـرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنـوا بـي وبمـا جئـت بـه، فـإذا فعلـوا ذلـك عصـموا منـي دمـاءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله).

قال في فتح المجيـد³²: (وهـذان الحـديثان أي حـديث ابن عمر وحديث أبـي هريـرة تفسـير الآيـتين - آيـة الأنفـال وأية براءة - وقد أجمع العلماء على أن من قبال لا إله الا الله ولم يعتقد معناها ولم يعمل بمقتضاها أنه يقاتـل حـتى يعمل بما دلت عليه من النفي والإثبات).

²⁹ ج 13/537

³⁰ ج 3/15 <u>0</u>8 ج 30 31 في الفتح، ج 1/76 22 ص 123

ومراد صاحب "فتح المجيد" بآية الأنفال وآية براءة هو قوله تعالى في سورة الأنفال {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله}، وقوله تعالى في سورة براءة {فَاذَا انسَّلَحُ الأُشْهِرِ الحَّرِمِ فَاقتلُوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم}.

وقد ذكر الإمام البخاري رحمه الله في كتـاب الإيمـان مـن صـحيحه حـديث إبـن عمـر السـابق (أمـرت أن أقاتـل الناس...) وترجم له بآية براءة السابقة، فقال³³: (باب: فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سـبيلهم)، ثـم سـاق الآية بالحديث.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي مالك الأشجعي، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل)، وهذا نص في أن عصمة الدم إنما تحصل بتحقيق التوحيد نفياً وإثباتاً مع تسليم سريرة العبد لربه سبحانه وتعالى وعدم التنقيب والتفتيش عن دواخله.

ومن نصوص السنة الموضحة لغاية القتال: قوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه يوم خيبر - كما أخرجه الشيخان عن سهل بن سعد رضي الله عنه -: (انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)، وفي الحديث قول على رضي الله عنه: (يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟).

قال في فتح المجيد³⁴: (الإسلام ؛ شـهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وما اقتضته الشـهادتان مـن إخلاص العبادة لله وحـده، وإخلاص الطاعـة لرسـوله صـلى الله عليه وسلم).

وقد جاء تفسير "الإسلام" بالشهادتين مصرحاً به في رواية مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيها: (فقـال علي رضي الله عنـه ؛ يـا رسـول اللـه علام أقاتـل النـاس؟

³³ كما في فتح الباري، ج 1/75 44 ص 103

قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله).

وقد بوب الإمام البخاري في كتاب الجهاد من صحيحه باباً، فقال: (باب دعوة اليهود والنصارى وعلى ما يقاتلون عليه).

قال ابن حجر³⁵: (وقوله "وعلى مـا يقـاتلون"؛ إشـارة إلى ما ذكـر فـي البـاب الـذي بعـده عـن علـي حيـث قـال: "أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا"، وفيه أمر صلى الله عليه وسلم له بالنزول بساحتهم ثم دعائهم إلى الإسلام ثم القتال).

ثم عقد الإمام البخاري بعد هذا الباب باباً آخر فقال 36: (باب "دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله")، وذكر تحته حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، ثم أورد البخاري نص الكتاب وهو: (بسم الله عظيم الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين، و إيا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضناً بعضاً أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون}).

ومن أصرح نصوص السنة بالإضافة إلى ما سبق على كون الجهاد لم يشرع أساساً إلا لتعبيد الناس لربهـم بشـتى صور العبـادة، قـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم فيمـا أخرجـه أحمد: (بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحـت ظـل رمحـي، وجعـل الـذل والصغار على من خالف أمري) 37، وهـذه الغايـة حـتى يعبـد الله وحده لا شريك له هي حقيقة دعوة الأنبياء والمرسلين، الله وحده لا شريك له هي حقيقة دعوة الأنبياء والمرسلين، ومن أجلها قام سوق الجنة وسوق النار، ومن أجلها سلت السيوف مـن أغمادهـا نصرة لله ورسله.

³⁵ في فتح الباري، ج 6/108 ³⁶ فتح الباري، ج 6/109 ³⁷ مسند المكثرين: 5409

> منبر التوحيد والجهاد منبر التوحيد والجهاد

* * *

بعد أن قمنا في الحلقـتين السـابقتين بتطـواف حـول النصوص الواردة في هذا الباب من القرآن والسنة: نحـاول أن نقوم بدراسة تطبيقية لما تقرر معنا من كون الجهاد لــم يشرع أساساً إلا لتحقيق عبودية الله في أرضه، نقوم بهــذه الدراسة التطبيقية من خلال مبحثين:

- 1) تعريف العلماء للجهاد.
- 2) تحديد المراد بكونه في سبيل اللـه، والكلام حـول ذلك.

أولاً: تعريف الحهاد:

قال ابن عابدين³⁸: (الجهاد... شرعاً ؛ الدعاء إلى الدين الحق، وقتال من لم يقبله).

وجاء في "مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر": (الجهاد ؛ قتل الكفار ونحوه من ضربهم ونهب أموالهم وهدم معابدهم وكسر أصنامهم، والمراد: الاجتهاد في تقوية الدين بنحو قتال الحربيين، والذميين إذا نقضوا، والمرتدين وهم أخبث الكفار للنقص بعد الإقرار، والباغين) قد

وعند المالكية: كما في "بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك"، قال ابن عرفة: (قتال مسلم كافراً غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله تعالى، أو حضوره له أو دخوله أرضه)، ونفس التعريف⁴⁰، وقوله: " أو حضوره له ": أي للقتال، والمراد حضور المسلم للقتال.

وعند الشافعية: قـال فـي " الإقنـاع " فـي تعريـف الجهاد: (أي: القتال في سبيل الله).

وعند الحنابلة: (الجهاد: القتال وبذل الوسع منه لإعلاء كلمة الله تعالى)⁴¹.

∞ انظر الجهاد سبيلنا: 40

₃ في حاشيته 3/336

⁴ ونفسَ التَّعريفَ ذكره في منحة الجليل 3/135 ⁴ انظر عمدة الفقه/166، منتهى الإرادات 1/302

<u>ثانياً: تحديد المراد بمصطلح "في سبيل الله"</u> <u>هنا:</u>

لم يذكر الجهاد أو القتال في القرآن الكريـم غالبـاً إلا مقيداً بكونه "في سبيل الله"، نذكر من ذلـك على سبيل المثال:

قال تعالى: {إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله}، {لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وإنفسهم في سبيل الله إموالهم وأنفسهم في سبيل الله}، {انفروا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله}، إنها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أموالكم وأنفسكم}، {وقاتلوا في سبيل الله الله الله بأموالكم وأنفسكم}، {وقاتلوا في سبيل الله الدين قبل أحياء عند ربهم يرزقون}، {الذين أمنوا يقاتلون في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون}، {الذين أمنوا يقاتلون في سبيل الله أمواتاً الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الله أمواتاً إن الله الله والذين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون}، {إن الله يوب الذين يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون}، {إن الله يوب الذين يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون}، {إن الله يوب الذين يقاتلون في سبيله صفا}.

والمراد بـ "سبيل الله" في هذه النصوص وغيرها قـد نص عليه النبي صلى الله عليه وسلم - وذلك فـي الحـديث المتفق عليه عن أبـي موسـى الأشـعري رضـي اللـه عنـه - قال: (جاء رجل إلى النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، فقـال: الرجل يقاتل حمية، ويقاتل شجاعة، ويقاتل رياء، فأي ذلـك في سبيل الله؟، قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليـا فهو في سبيل الله).

فالنبي صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق نـص نصاً محكماً على أن القتال يكون في "سبيل الله" إذا كــان من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا.

و" كلمة الله"، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية⁴² هي: (اسم جامع لكلماته الـتي تضمئها كتابه تعود إلـي أصـلين أن لا يعبـد إلا اللـه، أن لا يعبـد إلا بمـا شـرع، قـال تعالى: {وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة اللـه هـي العليا}).

28/263 42

قال ابن كثير: (قال ابـن عبـاس: يعنـى بكلمـة الـذين كفروا الشرك، وكلمة الله هي لا إله إلا الله).

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي اللــه عِنه قِالَ: (سِئل رَسْـول اللّـه صِـلَى اللَّـه عِليـَة وسَلَّم عِـ الرجل يقاتل حمية، ويقاتل شجاعة، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)، ففسر ابن كثير رحمه الله الآية بالحديث، بعد أن نقل عن السلف المراد ب "كلمة الله" وانها تحقيق التوحيد.

قال في "شرح كتاب التوحيد "⁴³: (قوله ؛ " من قاتـل لتكون كلمة الله هي العليـا فهـو فـي سـِبيل اللـه "، جـواب - الماري الماري العليـا فهـو مـي سـِبيل اللـه "، جـواب جامع شامل لما ذكر في السوال وغيرة من الأغراض والدوافع اليتي قيد تبدفع الإنسان إلى القتال، فمن كان صدة في قتاله رفع دين الله وإعزازه، وأن لا يعبد معه غيره، ولا يحكم إلا بشرعه فهو في سبيل الله وإلا فليس في سبيل الله).

قـال الشبيخ محمـد رشـيد رضـا: (سـبيل اللـه" هـي الطريق الموصلة إلى مرضاته، وهي التي يحفظ بها دينه ويصلَّح بها حال عباده، والقتال في سبيلُ الله هـو القتال لإعلاء كلمة الله وتأمين دينه ونشر دعوته والدفاع عن حزبه كالرخاسا على حقيد بالأرد دياً عن اجاباً أن المسلطة كُي لا يغلبوا على حقهم ولا يصدوا عن إظهار امرهم ۖ ۖ

وقال في "الجهاد سبيلنا "⁴⁵نـ (ولفظ " في سبيل الله يعني إعلاء كِلمة الله دون غرض اخرَ، وهذا شـرط لصـحة الجهاد وقبوله).

وقال الأستاذ سيد قطب رحمه اللـه⁴⁶: (" فـي سـبيل الله "... في سبياً، الله مح دورين شركت أ "... في سبيل الله وحـده، دون شِـركة فِـي شِـّارة، ولا هدف، ولا غَاية إلاّ الله، في سبيل هذا الحّق الذيّ أنزلَّه، في سبيل هذا المنهج الذي شرّعه، في سبيل هـذا الـدينَ الـذيّ اختاره، فـي هـذا السببيل وحـده، لا فـي أي سبيل أخـر ولا تحبَ اي شِعَارِ اخر، ولا شِركة مـع هـدفِ اوْ شـِعار... وفَـيَ هذا شدّد القرآن، وشدد الحديث حتى ما تبقى في النفس شبهة أو خاطر غير الله).

^{2/395 43}

^{2/31 44}

⁴⁵ انظر القتال في الإسلام / 15. ⁴⁶ في الظلال 1/144

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أوان تكون في سبيل الله مقصوده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وجماع الدين شيئان أن لا نعبد إلا الله، والثاني أن نعبده بما شرع لا نعبده بالبدع كما قال تعالى: والثاني أن نعبده أحسن عملاً }، قال الفضيل بن عياض: إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً لم يكن خالصاً وصواباً لم يكن خالصاً وصواباً والخالص: أن يكون خالصاً وصواباً، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون غلى السنة، والخالص: أن يكون لله، والصواب أن يكون غلى السنة، اللهم اجعل عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئاً، وهذا هو دين الإسلام الذي أرسل الله تجعل لأحد فيه شيئاً، وهذا هو دين الإسلام الذي أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه وهو الاستسلام لله وحده).

وقال رحمه الله كذلك 10 أصل ذلك أن تعلم أن جميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدين كله لله وآت تكون كلمة الله هي العليا، فإن الله سبحانه وتعالى إنما خلق الخلق لذلك وبه أنزل الكتب وبه أرسل الرسل، وعليه خلق الخلق لذلك وبه أنزل الكتب وسلم والمؤمنون قال جاهد الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}، وقال لا إله إلا أنا فاعبدون}، وقال {ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}، وقد أخبر عن مالكم من إله غيره}، وعبادته تكون بطاعته وطاعة رسوله مالكم من إله غيره}، وعبادته تكون بطاعته وطاعة رسوله مالكم من إله غيره}، وعبادته تكون نقاتل عليه الخلق كما مالك الله عليه وسلم... وهذا الذي يقاتل عليه الخلق كما قال تعالى: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله عليه ولله النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل لله عنه قال: "سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل عنه قال: "سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل عنه قال شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، فأي ذلك في سبيل الله؟ فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله؟).

* * *

إيراد... ودفعه:

⁴⁷ في مجموع الفتاوى 28/23 48 28/61

منبر التوحيد والجه<u>اد</u>

(18)

بعد أن ذكرنا الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم والأئمة الظاهرة الدلالة في كون الجهاد لـم يشرع - أساساً - إلا لتحقيق عبودية اللـه في أرضه، نـذكر إيـراداً ذهـب إليـه البعـض معارضـة لهـذا الأصـل الأصـيل والركـن الركين، ونبين بحول الله وقوته ضعفه وعـدم خروجـه عمـا نحن فيه فضلاً عن معارضته.

وهذا الإبراد هو قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم كما أخبر بذلك صلى الله عليه وسلم، لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار أو عسكر كثير الفجور فإنه لابد من أحد أمرين: إما ترك الغزو فيلنزم من ذلك استيلاء الآخرين النين هم أعظم ضرراً في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر، فيحصل بذلك دفع الأفجرين وإقامة أكثر شرائع الإسلام وإن لم يكن إقامة جميعها، فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها، بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه)

ونقول - ولله الحمد أولاً وآخراً - هـذا الإيـراد مـدفوع من وجوه:

<u>أولاً:</u>

أن شيخ الإسلام رحمه الله يتكلم عن الغزو مع الأمراء الفجار أو مع عسكر كثير الفجور، أي أن القضية قضية قضية ذنوب وآثام، وإن كانت من الكبائر والفواحش، وهذا مما لا خلاف فيه، إلا أن ابن تيمية لم يذكر من قريب أو بعيد مقارفة الشرك والوقوع في الكفر، وهذا هو الذي يعنينا إذ هو المخالف لتحقيق العبودية لله رب العالمين.

وقد قال ابن تيمية نفسـه: (فالمقصـود بالجهـاد أن لا يعبد أحد إلا الله فلا يدعو غيره ولا يصلى لغيـره، ولا يسـجد لغيره ولا يصوم لغيره، ولا يعتمـر ولا يحـج إلا إلـى بيتـه، ولا يذبح القرابين إلا له ولا ينذر إلا له، ولا يحلف إلا به ولا يتوكل إلا عليه، ولا يخاف إلا إياه ولا يتقى إلا إياه)50.

:	نىاً	ثا

⁴⁹ ج 35/368 و 50

أن المراد بقوله: "إقامة أكثر شرائع الإسلام وإن لـم يمكن إقامة جميعها"، الأحكام العملية، إذ هي وحدها الـتي تتحمـل التبعيـض والتجزئـة دون أصـل الـدين مـن تحقيـق التوحيد بإخلاص العبادة لله، والبراءة مـن عبـادة مـا سـواه فبعـد تحقيـق هـذا الأصـل يكـون الأمـر سـهلاً فـي إقامـة الشرائع.

قال ابن جريـر الطـبري: ({وقـاتلوهم حـتى لا تكـون فتنة} ؛ فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ولا يعبد إلا الله وحـده لا شريك له، {ويكون الدين كله لله} ؛ وحتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره) 51. اهـ

وقال ابن تيمية نفسه: (والجهاد في سبيل الله مقصوده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا وجماع الدين شيئان: أن لا نعبد إلا الله، والثاني: أن نعبده بما شرع لا نعبده بالبدع)52. اهـ

بل قال ابن تيمية رحمه الله وهو يتكلم في نفس الموضوع - قتال التتار والتحريض على قتالهم -: (فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين كله لله)53. اه

فقوله رحمه الله "وجب القتال حتى يكون الدين كلـه للـه"، مـع قـوله " أكثر شـرائع الإسـلام" يوضـح أنـه يريـد الأحكام العملية دون أصل الدين الذي لا يحتمل - كما صرح هو - التبعيض.

ثالثاً:_

أن ابن تيمية رحمه الله استدل على كلامه السابق، أي: مشروعية القتال لإقامة أكثر شرائع الإسلام وإن لم يمكن إقامة جميعها بحديث الطائفة المنصورة (لأتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة)⁵⁴، فهل الطائفة المنصورة غير قائمة -ابتداءً - بأصل الدين من صرف العبادة لله وحده والبراءة

⁵¹ ج 75/53 ع

⁵² ج 28/23

⁵⁴ أنظر ج 28/505 وما بعدها

من عبادة ما سواه؟، وهل الطائفة المنصورة لا تقاتـل مـن أجل أن يكون الـدين كلـه للـه؟ وأن تكـون كلمـة اللـه هـي العليا؟

<u>رابعاً:</u>

أن ابن تيمية جعل أسباب هزيمة المسلمين أمام التتار ترجع إلى الذنوب والمعاصي، فكيف يصرف العبادة لغير الواحد الديان، قال رحمه الله: (وكانت هزيمة المسلمين في العام الماضي بذنوب وخطايا واضحة من فساد النيات والفخر والخيلاء والظلم والفواحش والإعراض عن حكم الكتاب والسنة، وعن المحافظة على فرائض الله والبغي على كثير من المسلمين الذين بأرض الجزيرة والروم)55. اهـ

<u>خامساً:</u>

أن ابن تيميـة رحمـه اللـه جعـل إخلاص العبـادة للـه وصدق الاستَعانة به اقَوى معيـن علـيَ الجهـادّ فـي سـبپله، فَقَالَ: (قَالَ تَعَالَى: {وَأَتَبِعِ مَا يُوْحَى إِلَيْكِ مِنْ رَبِكِ إِنَ اللَّهِ كإن بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفي بالله وكيلا} فأمره بإتباع مَا أوحي إليه من الكتاب والحكمة البتي هي سنته وبان يتوكل على الله فبالأولى يحقق قوله إيـاك نعبــد وبالثانية يحقِّق قولهِ وإياك نسِّتعين، ومثل ذلك قوله: {فاعبده وتوكل عليم وقوله: {عليه توكلت واليه أنهب }، وَهذا وَإِن كَانَ مَامُوراً بِهَ فَي جَمِيعَ اللَّذِينِ فَإِن ذَلَكَ فَيْ الْجِهادِ أُوكِدِ لِأَنِه بِحِتَاجِ إِلَى أَن يَجاهِدِ الْكِفَارِ وَالْمِنَافَقِينٍ، الْجِهادِ أُوكِدِ لِأَنِه بِحِتَاجِ إِلَى أَن يَجاهِدِ الْكِفَارِ وَالْمِنَافَقِينٍ، وذلك لا يُتم إلا بتاييد قوي من ألله، ولهذا كان الجهاد سنام العمل، وانتظم سنام الأحوال الشريفة، ففيه سنام المجبة كما في قُوله: { فَسُوفِ يَاتِّي اللَّهِ بَقُومَ يَحْبُهُمْ وَيَحْبُونُهُ اذَّلِّـةً على المؤمِّنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولَّا يَجَافُونَ لَوْمِهَ لَأَئِمٍ }، وَفيه سِنَامَ التوكِـلِ وسـنام الصـبر، فَإِنِ المَجِّاهِدِ أَحْوِجِ النَّاسِ إِلَى الصِّبْرِ وَٱلْتُوكِـلِّ، وَلَهَـٰذَا قَـالُ تعالَى: {والذين هَاجِروا فِي اللهِ من بعِد مَا ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجرَ الآخرة أكبر لو كانوا يعلم ون الـُـذيْن صِبروا وعلى ربهـم يتوكلـونَ}، وفييَ الجهَـاد إيضـًا حقيقـةُ الزهد في الجياة الدنيا وفي الدار الدنيا، وفيه ايضا حقيقــة الإِخَلاصِ، فِإِنَّ الْكِلامُ فَيُمِنِّن جِاهِد فَيْ سُبِيلُ اللَّهِ لا فِي سبيل الرياسة ولا في سبيل المال، ولا في سبيل الحميـة،

55 ج 28/431

وهذا لا يكون إلا لمـن قاتـل ليكـون الـدين كلـه للـه وتكـون كلمة الله هي العليا)50.

فهذا هو جهاد ابن تيمية الذي دعا إليه وحرض عليه.

<u>سادساً:</u>

أن شيخ الإسلام ابن تيمية يذكر لنا واقعة حدثت أيام قتال التتار عظيمة الدلالة في تقرير ما نحن فيه من كون الجهاد لم يشرع إلا لتحقيق العبودية لله رب العالمين، كما أنها تبين حقيقة مراد شيخ الإسلام ابن تيمية من قوله "إقامة أكثر شرائع الإسلام وإن لم يمكن إقامة جميعها"، قال رحمه الله: (إن العدو الخارج عن شريعة الإسلام لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم، وقال بعض الشعراء:

> يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر أو قال:

عوذوا بقبر أبي عمر ينجيكم من الضرر

فقلت لهم: هؤلاء الذي تستغيثون بهم لو كانوا معكم في القتال لانهزموا كما انهزم من انهزم المسلمين يوم أحد، فإنه كان قد قضى أن العسكر ينكسر لأسباب اقتضت ذلك ولحكمة كانت لله عز وجل في ذلك، ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة لعدم القتال الشرعي الذي أمر الله به ورسوله، ولما يحصل في ذلك من الشر والفساد، وانتفاء النصرة المطلوبة من القتال فلا يكون فيه ثواب الدنيا ولا ثواب الآخرة لمن عرف هذا وهذا، وإن كان كثير من القائلين اللذين اعتقدوا هذا قتالاً شرعياً أجروا على نياتهم.

فلما كان بعد ذلك جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين لله عـز وجـل والاسـتعانة بـه وأنهـم لا يسـتغيثون إلا إيـاه، لا يستغيثون إلا إيـاه، لا يستغيثون بملك مقرب ولا نبي مرسل، فلمـا أصـلح النـاس أمورهم وصدقوا في الاستغاثة بربهم نصرهم على عـدوهم نصراً عزيزاً ولم تهزم التتار مثـل هـذه الهزيمـة قبـل ذلـك أصلاً لما صح من تحقق توحيد الله تعالى وطاعة رسوله ما

56 مجموع الفتاوى: ج 28/441

لم يكن قبل ذلك، فإن الله تعالى ينصر رسوله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) 57. أهـ

فتأمل رحمك الله قـوله: "ولهـذا كـان أهـل المعرفـة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلـك المـرة لعـدم القتـال الشرعي الذي أمر الله به ورسوله".

ثم تأمل رحمك الله قوله بعد ذلك: "فلما أصلح الناس أمورهم وصدقوا في الاستغاثة بربهم نصرهم على عدوهم نصراً عزيزاً ولم تهزم التتار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك أصلاً لما صح من تحقيق توحيد الله وطاعة رسوله ما لم يكن قبل ذلك؟".

وهنا تنبيه هام وهـو أن هـذه الحادثـة كـانت مـن آحـاد الناس وعوامهم، ولم تكن من الأجنـاد والأمـراء فضـلاً عـن أهل الحل والعقد، ودليل ذلك ما ذكره ابن تيمية نفسه فـي وصف القوم الذين كان يقاتل ويحرض على القتال معهم.

قال رحمه الله: (أما الطائفة بالشام ومصر ونحوهما فهم في هذا الوقت المقاتلون عن دين الإسلام، وهـم مـن أحق الناس دخولاً في الطائفة المنصورة التي ذكرها النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم بقـوله فـي الأحـاديث الصـحيحة المستفيضة عنه: (لا تزال طائفة مـن أمـتي ظـاهرين علـى الحـق لا يضـرهم مـن خـالفهم ولا مـن خـدلهم حـتى تقـوم الساعة)" ومن يتدبر أحوال العالم في هذا الوقت يعلـم أن هذه الطائفة هي أقوم الطوائف بدين الإسلام علمـاً وعملاً وجهاداً عن شرق الأرض وغربها...) قد اهـ

وقـال أيضـاً رحمـه اللـه: (وإن جنـود اللـه المؤيـدة وعساكره المنصورة المستقرة بالديار الشـامية والمصـرية مازالت منصورة على من ناوأها مظفرة على من عاداها).

قال: (فلما انصرف العسكر إلى مصر وبلغه ما عليه هذه الطائفة الملعونة من الفساد وعدم الدين خرجت جنود الله وللأرض منها وئيد، قد ملأت السهل والجبل في كثرة وقوة وعدة وإيمان وصدق، قد بهرت العقول والألباب، محفوفة بملائكة الله التي مازال يمد بها الأمة الحنيفية المخلصة لبارئها، فانهزم العدو بين أيديها ولم يقف لمقابلتها، ثم أقبل العدو ثانيا فأرسل عليه من العذاب ما

⁵⁷ الرد على البكري، ص 376: 378 ⁵⁸ ج 28/531

أهلك النفوس والخيل وانصرف خاسئاً وهو حسير، وصدق الله وعده ونصر عبده... والإسلام في عز متزايد وخير مترافد، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة في رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها"، وهذا الدين في إقبال وتجديد)59. اهـ

فأنت ترى شيخ الإسلام ابن تيمية يصف هذه الطائفة المقاتلة للتتار بأنها الطائفة المنصورة والطائفة المجددة لهذا الدين وهل يصح التجديد إلا بعد تحقيق التوحيد؟!

ونختم في بيان الصورة الحقيقية لجهاد شيخ الإسلام ابن تيمية وأنه لم يخرج فيه عن هذا الأصل الأصيل والركن الركين لتحقيق عبودية الله في أرضه حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، نختم بهذه الرسالة التي أرسلها شيخ الإسلام ابن تيمية لسلطان زمانه وحامل راية الإسلام في قتالهم مع التتار والذي قاتل معه ومن خلف شيخ الإسلام ابن تيمية ودعا الناس للقتال معه.

قال رحمه الله: (بسم الله الرحمن الرحيم، من الداعي أحمد بن تيمية إلى سلطان المسلمين ومن أبد الله في دولته الدين وأعز بها عباده المؤمنين، وقمع فيها الكفار والمنافقين والخوارج المارقين، نصره الله ونصر به الإسلام، وأصلح له وبه أمور الخاص والعام، وأحيا به معالم الإيمان، وأقام به شرائع القرأن، وأذل به أهل الكفر والفسوق والعصيان، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وهو للحمد أهل وهو على نحمد إليكم الله الذي لا إله الله على خاتم النبيين وإمام المتقين محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما، أما بعد:

فقد صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأنعم الله على السلطان وعلى المؤمنين في دولته نعماً لم تعهد في القرون الخالية، وجدد الإسلام في أيامه تجديداً بانت فضيلته على الدول الماضية، وتحقق في ولايته خبر الصادق المصدوق أفضل الأولين والأخرين الذي أخبر عن تجديد الدين في رؤوس المئين، والله تعالى يوزعه والمسلمين شكر هذه النعم العظيمة في الدنيا والدين، ويتمها بتمام النصر على سائر الأعداء المارقين.

59 ج 28/68

وذلك أن السلطان أتم الله نعمته حصل للأمة بيمن ولايته وحسن نيته وصحة إسلامه وعقيدته وبركة إيمانه ومعرفته وفضل همته وشجاعته وثمرة تعظيمه للدين وشرعته ونتيجة اتباعه لكتاب الله وحكمته ما هو شبيه بما كان يجري في أيام الخلفاء الراشدين، وما كان يقصده أكابر الأئمة العادلين من جهاد أعداء الله المارقين من الدين، وهم صنفان: أهل الفجور والطغيان... وهؤلاء هم التتار.

والصنف الثاني: أهل البدع والم ارقون، وذوو الضـلال المنافقون الخارجون عن السنة والجماعة) أُهُ. أهـ

وبعد هذا كله، فابن تيمية هو القائل في فتواه بوجوب قتال التتار: (والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا ليــس أوجب بعد الإيمان من دفعه)⁶¹. اهـ

فتأمل رحمك الله قوله؛ "بعد الإيمان"، يتضح لـك المـراد وتفهـم حقيقـة مـا أراده رب العبـاد يـوم أن شـرع الجهاد.

والحمد لله أولاً وآخراً

عن مجلة المجاهدون الصادرة عن **جماعة الجهاد بمصر** الاعداد؛ 55 / 56 / الاعداد؛ 55 / 56

منبر التوحيد والجهاد * * *

ten.esedgamla.www//:ptth sw.dehwat.www//:ptth ofni.hannusla.www//:ptth

moc.adataq-uba.www//:ptth

⁶⁰ ج 98 61 ج 5/538

موقعنا على الشبكة

(25) sw.dehwat.www//:ptth moc.esedgamla.www//:ptth

ofni.hannusla.www//:ptth

sw.dehwat.ww sw.esedqamla.www ofni.hannusla.www

moc.adataq-ubalwww moc.adataq-uba.www//:ptth